إيران وبروز حرب الطائرات
بـــدون طـــيار

القصف المضاد

إيران وبروز حرب الطائرات بدون طيار غير المتماثلة في الشرق الأوسط

كينيث ماكنزي "قائد سابق للقيادة المركزية الأمريكية"

معهد واشنطن لدراسات الشرق الأوسط

Feb 26, 2023

إن إيران قوة قديمة في الشرق الأوسط، وتعود أيام إمبراطوريتها الذهبية والمزدهرة إلى قرون مضت. واليوم، أصبحت تلعب دوراً رجعياً مصحوباً بطموحات تتسم بالهيمنة والسيطرة، حيث تحكمها ثيوقراطية (حكومة دينية) فاسدة ومتضخمة. منذ الثورة الإسلامية عام 1979، سعت إيران إلى تصدير نسختها من الإسلام الشيعي إلى جيران غير راغبين فيه في كثير من الأحيان. وعلى مستوى السياسة، فإن الأهداف الأساسية لنظام الحكم الإيراني هي إخراج الولايات المتحدة من الشرق الأوسط، وتدمير دولة إسرائيل، والحفاظ على النظام الحاكم.

كان تأثير إيران ضعيفاً نسبياً لمجموعة متنوعة من الأسباب، لذا فقد سعت إلى إيجاد أساليب مبتكرة وغير متماثلة لتعديل الوضع بحيث تصبح الفرص متساوية والمنافسة عادلة. وقد نجحت في تعظيم القدرات المتواضعة لقاعدتها الصناعية على الرغم من العقوبات التعجيزية والاضطرابات الداخلية التي كانت تندلع من آن لأخر. في مقالة رائعة نشرت عام 1994 على موقع أوربيس، قال بيتر زيمرمان إن دولاً مثل إيران لا تحتاج إلى تكنولوجيا "الميدالية الذهبية" لتكون فعالة - ففي كثير من الأحيان، تكون تكنولوجيا "الميدالية البرونزية" أكثر من كافية.[1] ولا تزال هذه الرسالة قابلة للتطبيق حتى بعد مرور ثلاثة عقود.

عادة ما تكون الأساليب غير المتماثلة هي أفضل رد من جانب القوة الأضعف على خصم أقوى، خاصة عندما يكون هناك تباين ملحوظ في المصالح الاستراتيجية. ومن الواضح، وهو في الواقع مبدأ معلن في استراتيجية الولايات المتحدة، أن مشكلة إيران تعد أقل أهمية من مشكلة الصين أو روسيا أو كوريا الشمالية. وكان للتضخيم الإعلامي الصريح للأولويات تأثير عميق على سلوك إيران - وسلوك حلفاء الولايات المتحدة وشركائها داخل المنطقة وخارجها أيضاً. فبالنسبة للقوة الأضعف – إيران – فإن هذا الصراع يتمحور بشكل أساسي حول بقاء النظام، في حين أنه لا يشكل اعتباراً وجودياً للقوة الأقوى – الولايات المتحدة.[2] وقد خلق هذا التباين في المصالح فرصاً لإيران.

[1] Peter D. Zimmerman, "Proliferation: Bronze Medal Technology Is Enough," Orbis (Winter 1994): 67–82

[2] . For a related discussion, see Kenneth F. McKenzie Jr., The Revenge of the Melians: Asymmetric Threats and the Next QDR, McNair Paper 62 (Washington DC: National Defense University Press, 2000), 1–17.

ولم يكن الجمع بين الأساليب غير المتماثلة وتكنولوجيا الميدالية البرونزية أكثر اتساقا ــ أو أكثر نجاحا ــ مما كان عليه في مجال الطائرات بدون طيار. وستركز المناقشة هنا على ثالوث أنظمة الضـــربات الإيرانية طويلة المدى بدون طيار. الأول هو قوة الصـــواريخ الباليســـتية الإيرانية الكبيرة والمتنامية والتي تســـتخدم ضـــد أهداف في مســـرح العمليات، والتي تتكون من هياكل طائرات تعمل بالوقود الصلب والسائل وقادرة على الوصول إلى أي مكان في الشرق الأوسط. والثاني هو قوة صـواريخ كروز الهجومية الأرضـية التي برزت مؤخراً في إيران، والتي تتألف من هياكل طائرات مجنحة بدون رأس حربي متفجر وتعمل بمدخل هواء والتي عادة ما تحلق على ارتفاع منخفض ولا يكتشفها الرادار.

تتمتع بعض أنواع صواريخ كروز الهجومية الأرضية بمدى كافٍ لضرب أي هدف في المنطقة من إيران. وأخيراً، يركز هذا التحليل على الطائرات بدون طيار. يمكن استخدام الطائرات بدون طيار للمراقبة أو الهجوم، ويتم تصنيعها بأشكال وأحجام متعددة، بدءاً من الأنواع قصيرة المدى التي يتم إطلاقها يدوياً وحتى المنصـــات الكبيرة مثل الطائرات المقاتلة الحديثة التي قد يكون لها مدى طويل جداً. وكلاهما قد يكون من الصعب الدفاع ضدهما.

التهديد المتزايد

إن القدرات العســـكرية لإيران هي أكثر بكثير من مجرد مجموع أنظمتها. فهذا الثالوث الجديد مجتمع يقدم ما يعادل حرب الأســـلحة المجتمعة، وهو نهج متطور للقتال حيث تفتح الإجراءات التي يتخذها المدافع لتحســـين مواجهة أحد هذه التهديدات طريقاً للهجوم عبر وســـائل أخرى. إن الجمع بين هذه القدرات يضـع المدافع في معضـلة تنطوي على خيارين كلاهما مُر: على سـبيل المثال، يمكن اســـتخدام الطائرات بدون طيار الإيرانية للاندفاع بأعداد كبيرة نحو رادارات باتريوت التابعة للولايات المتحدة الأمريكية أو الدول الشـــريكة لها في المنطقة في المراحل الأولى من هجوم شـامل. وإذا تم تعطيل هذه الرادارات، فإن صـواريخ باتريوت نفسـها - القدرة الأساسية للدفاع ضد كل من صـواريخ كروز الهجومية الأرضـية والصـواريخ الباليستية التي تسـتخدم ضـد أهداف في مسـرح العمليات - سـتصـبح غير ذات صـلة.[3] علاوة على ذلك، فإن الطائرات بدون طيار غير مكلفة نســـبياً ويمكن توجيهها إلى الوكلاء الذين يعملون بالقرب من الأهداف المحتملة في جميع أنحاء المنطقة.

إن أحد الأسباب الرئيسية للتوتر بين الغرب وإيران تتعلق بوضـع برنامجها النووي. فالسياسـة الأمريكية المعلنة هي عدم السماح لإيران بامتلاك سـلاح نووي. وبدرجات متفاوتة، تتفق معظم الدول الغربية مع هذا المبدأ. وفي حين أنه من الواضـــح أن كلمات إيران وأفعالها تؤكد خطورة

[3] This technique has been used by the Houthis in striking targets in Saudi Arabia.

امتلاكها لهذه القدرة، فمن الممكن أيضـــاً أن يكون تركيز الولايات المتحدة على هذا الهدف السياسي الوحيد قد سمح بالنمو الهائل للقدرات العسكرية الأخرى.

وللتعامل مع هذه القضية، يحتاج صناع السياسات إلى التفكير في سؤال صعب: ما هو رأي قادة إيران، وما هي في نظرهم قدراتهم الأمنية الوطنية المهمة؟ إن الغموض الذي يكتنف عملية صنع القرار الاستراتيجي في الجمهورية الإسلامية يجعل من الصعب للغاية التوصل إلى أي استنتاجات قاطعة، ولكن في حين أن إيران قد تسعى إلى اكتساب القدرة على " تسريع وتيرة" تطوير الأسلحة النووية، فإنها لم تقرر، حتى كتابة هذه السطور، أن تفعل ذلك. وبدلاً من ذلك، تفضل الجمهورية الإسلامية أن تكون على حافة الزيادة السريعة في تطوير الأسلحة النووية، حيث يمكنها الضغط على الولايات المتحدة وشركائها للحصول على تنازلات بينما تتحدث عن "جيه سي بي أو إيه" المستقبلية، اختصار لخطة العمل الشاملة المشتركة لعام 2015 أو الاتفاق النووي الإيراني.

إن جواهر التاج الحقيقية لإيران هي ثالوث أنظمة الضـــربات بعيدة المدى غير المأهولة الذي تمت مناقشته للتو، والذي تدعمه شبكة الدفاع الجوي الخاصة به والتي تتحسن بسرعة. هذه الأسلحة متاحة اليوم، وليس في المستقبل البعيد. تم إدراك الأهمية النسبية لترسانة إيران التقليدية بالنســـبة للقدرة النووية المحتملة في عام 2020 عندما أوضـــح الرئيس الأمريكي المنتخب جو بايدن في مناقشة مع الكاتب توماس فريدمان أنه "بالتشاور مع حلفائنا وشركائنا، فإننا سننخرط في مفاوضات واتفاقيات لاحقة لتشديد وإطالة القيود المفروضة على البرنامج النووي الإيراني، فضـــلا عن التعامل مع البرنامج الصـــاروخي.[4] وكان رد إيران فورياً، ومتسـقا بشـكل مدهش. وحينئذ قال الرئيس حســـن روحاني: "كان الأمريكيون يحاولون منذ أشـــهر إضـــافة قضـــية الصـواريخ [إلى المحادثات النووية] وقد تم رفض ذلك".[5] كما أعرب آخرون، بمن فيهم الرئيس الإيراني الحالي إبراهيم رئيسي ووزير الخارجية السابق محمد جواد ظريف، بصوت عالٍ عن رفضهم لأي ربط. خلال سنوات العقوبات ضد إيران، بما في ذلك فترة "الضغط الأقصى" في ظل إدارة ترامب، ضـــحت قيادة الجمهورية الإســـلامية باقتصـــادها لمواصـــلة العمل على هذه الأسلحة، التي حظيت على الأقل بأولوية كبيرة مثل تطوير الأسلحة النووية.

[4] Thomas Friedman, "Biden Made Sure 'Trump Is Not Going to Be President for Four More Years,'" New York Times, December 2, 2020, https://www.nytimes.com/2020/12/02/opinion/biden-interview-mcconnell-china-iran.html.

[5] Reuters, "Iran's Missile Programme Is Non-Negotiable, Says Rouhani," Reuters, December 14, 2020, https://www.reuters.com/article/us-iran-nuclear-usa/irans-missile-programme-is-non-negotiable-says-rouhani-idUSKBN28O1KI.

وكل هذه القدرات مزعزعة للاستقرار وخطيرة. وتشكل الطائرات بدون طيار التهديد الأكثر إلحاحا لأمن الشرق الأوسط بسبب تكلفتها المنخفضة، وتوافرها على نطاق واسع، وإمكانية إنكار امتلاكها - حيث يمكن إخفاء نقطة منشأها من خلال استخدام مسار طيران معقد وصعب. ومنذ خريف عام 2022، امتد هذا التهديد إلى أوروبا الشرقية، حيث بدأت إيران في تجهيز الطائرات بدون طيار والتدريب لروسيا لدعم حربها العدوانية في أوكرانيا.[6] وقد تطور تهديد الطائرات بدون طيار الإيرانية بسرعة، في حين كانت الاستجابات الإقليمية في كثير من الأحيان فاترة وغير مبالية. ونتيجة لذلك، كانت الفجوة تتسع، ويتزايد التهديد كل يوم. ويعد هذا واقع جديد لا يفهمه الجميع بشكل كامل. كيف ستبدو الحرب في المنطقة باستخدام هذه القدرات غير المتماثلة القوية؟

حرب نيران

إن مثل هذا الصراع بين إيران وخصومها سيكون بمثابة "حرب نيران"، وليس حرب مناورة أو غزو. وبعض هذا يأتي مدفوعاً بالضرورة. فإيران لا تمتلك جيشاً يتمتع بقدرات حربية استكشافية، على الرغم من أن قواتها الوكيلة في جميع أنحاء المنطقة توفر شكلاً من أشكال استعراض القوة. إن القوة الجوية الإيرانية صغيرة ويتم الحفاظ عليها وتدريبها بشكل ينطوي على لا مبالاة ولا ينم عن اهتمام. وتمتلك إيران بعض القدرات البحرية، لكن فيما يتعلق بما هو أبعد من عمليات الحرمان البحري (مصطلح عسكري يصف محاولات حرمان العدو من استخدام قدراته البحرية)، ستكون هذه القدرات محدودة للغاية. في الفكر العسكري الغربي، هناك قول مأثور: "إطلاق النار دون مناورة أمر غير حاسم. والمناورة بدون إطلاق نار أمر كارثي."

بعض التاريخ صحيح وفي محله هنا. فقد شهدت الحرب العراقية الإيرانية في ثمانينيات القرن الماضي هجمات كبيرة بالطائرات والصواريخ بعيدة المدى ضد المراكز السكانية في كلا البلدين. وعلى الرغم من هذه التكتيكات التي تهدف إلى تدمير المدن، لم يتخذ أي من سكان البلدين موقفاً عدائياً ضد الحرب. وحتى في ظل هذه الخلفية، تبنت إيران سياسة استخدام النيران بعيدة المدى كوسيلة علنية أساسية للحرب، ربما بناءً على تقييم مفاده أن مثل هذا النهج سيكون فعالاً ضد جيرانها في الخليج، الذين لديهم بنى تحتية شاسعة وهشة عرضة للهجوم. ويمكن تطبيق هذا النهج أيضًا ضد إسرائيل، إذا تمكنت إيران من قصف الدفاعات الصاروخية الإسرائيلية بكثافة[7].

[6] David E. Sanger, Julian E. Barnes, and Eric Schmitt, "U.S. Scrambles to Stop Iran from Providing Drones to Russia," New York Times, December 28, 2022, https://www.nytimes.com/2022/12/28/us/politics/iran-drones-russia-ukraine.html.

[7] See two pieces by Uzi Rubin, the former head of Israel's missile defense program, claiming that such precision strike systems are true weapons of mass disruption and destruction, and may be war-winners: "Israel and the

كيف سيتم خوض مثل هذه الحرب؟ سيتم استخدام ثالوث الأنظمة الإيرانية غير المأهولة لمهاجمة القواعد الجوية والقواعد الأرضية والبحرية والمراكز السكانية. إن الأعداد الكبيرة من الأنظمة الإيرانية المتاحة تعني أن العديد من الضربات ستتغلب على الدفاعات الجوية والصاروخية وتصل إلى أهدافها. وكما ذكرنا سابقاً، فإن المرحلة الأولية لأي هجوم من قبل إيران سيستهدف أجهزة استشعار الإشارة والتحذير ورادارات إدارة المعركة والسيطرة على النيران التابعة للولايات المتحدة وشركائها. وبطبيعة الحال، سترد القوى الإقليمية وتحاول ضرب منصات الإطلاق ومناطق تجمع هذه الأنظمة، لكن شبكة الدفاع الجوي الإيرانية المحسنة بشكل كبير ستجعل من الصعب للغاية على الطائرات المأهولة من المملكة العربية السعودية، أو الإمارات العربية المتحدة، أو أي دولة إقليمية أخرى أن يكون لها تأثير جيد. فضرب الأهداف في إيران يتطلب التعاون والحماية من القوات الجوية الأمريكية والبحرية الأمريكية: فهما الوحيدان اللذان يمتلكان القدرات الخاصة بهما اللازمة للتحليق باستمرار في مجال شبكة الدفاع الجوي الإيرانية وضرب هذه الأهداف مع أي فرصة للنجاح - وتمكين القوات الجوية الشريكة من مرافقتهما.

إذا شاركت الولايات المتحدة في حرب إقليمية ضد إيران، فإن النجاح سوف يعتمد على معدل التبادل النسبي بين قدرة الجيش الإيراني - بما في ذلك الحرس الثوري الإسلامي - على توليد قوة ضرب طويلة المدى ضد الأهداف، وقدرة الجيش الإيراني على توليد قوة ضرب بعيدة المدى ضد الأهداف وقدرة الولايات المتحدة وشركائها على الحد من تلك القدرة الهجومية، مع الدفاع عن المناطق الحيوية. وتعتمد نظرية النصر الإيرانية على إلحاق قدر كبير من الألم بالدول المجاورة إلى الحد الذي يجعل الحرب تنتهي في نهاية المطاف بشروط مواتية ومرضية للنظام. وسيكون لدى الجمهورية الإسلامية كل الحوافز لاستخدام نهج ذي قيمة مضادة في الاستهداف، وضرب المراكز السكانية لخصومها في محاولة لفرض حل سياسي. وستسعى إيران إلى تعظيم الضربات المبكرة، ثم تعرض وقف التصعيد قبل أن تتمكن الولايات المتحدة من جمع قوتها الساحقة ونشرها وتطبيقها. ونتيجة لذلك، يمكن لحرب من هذا النوع أن تتسبب في سقوط آلاف الضحايا من العسكريين والمدنيين على حد سواء - خاصة إذا أثبتت الجهود الأولية لوقف التصعيد عدم نجاحها.

على النقيض من ذلك، فإن نظرية النصر بالنسبة للولايات المتحدة والجانب الخليجي سترتكز على إنجازين: تقليل عدد منصات الإطلاق المتنقلة التي يمكن لإيران أن تضرب من خلالها، مع فرض مستوى من الألم على النظام الإيراني من شأنه أن يدفعه إلى التفاوض. إن الحفاظ على

Precision-Guided Missile Threat," Perspectives Paper 1607, Begin-Sadat Center for Strategic Studies, June 16, 2020, https://besacenter.org/israel-precision-guided-missiles/; and "The New Day After: Accurate Missiles in the Middle East," presentation, Nonproliferation Policy Education Center, April 22, 2021, https://npolicy.org/the-newday-after-accurate-missiles-in-the-middle-east/.

النظام الثيوقراطي (يحكمه قادة دينيون) هو هدف استراتيجي إيراني أساسي. إن الهجمات التي تهدد بزعزعة استقراره، سواء من خلال الصعوبات الاقتصادية أو إعاقة قدرته على الحكم، سيتم التعامل معها على محمل الجد من قبل القيادة الإيرانية. كما أن الاحتفاظ باحتياطي كبير من الصواريخ المتنقلة بعد الأعمال العدائية يعد عاملاً أساسياً لنظرية النجاح الإيرانية، لذا فإن إضعاف هذه القوة من خلال الاستنزاف من شأنه أن يسهم بشكل مباشر في انعدام أمن النظام.

وعلى الرغم من أن إيران تعمل على زيادة عدد مواقع الإطلاق الثابتة والمدفونة في مناطق إطلاق الصواريخ الباليستية المنتشرة في جميع أنحاء البلاد، إلا أن هذا قد لا يكون أمراً يتسم بالحكمة على المدى الطويل؛ لأنه يمكن ضرب المواقع الثابتة، حتى عندما تكون صلبة ومقواة، بتأثير جيد. تكمن الصعوبة في العثور على الهدف، وليس "التسليح" (عملية تحديد كمية نوع معين من الأسلحة الفتاكة أو غير الفتاكة اللازمة لتحقيق مستوى معين من الضرر لهدف معين، مع الأخذ في الاعتبار مدى ضعف الهدف وتأثير السلاح ودقة توصيل الذخائر ومعايير الضرر) ضده. وبالتالي، فإن منصات إطلاق الصواريخ المتنقلة ستشكل تحديًا أكثر صعوبة، حيث أن تاريخ جهود التحالف ضد منصات إطلاق الصواريخ المتنقلة ليس مشجعًا. ففي حرب الخليج عام 1991، كافح التحالف للعثور عليها ومهاجمتها في صحاري العراق. لكن الولايات المتحدة أصبحت أفضل في هذا الأمر مما كانت عليه في الماضي، وهناك سبب وجيه للاعتقاد بأن طهران لن تكون قادرة على تحمل انخفاض كبير في هذه القدرة. إن احتمال إنهاء الحرب باحتياطي منخفض للغاية من الصواريخ قد يوفر دافعاً لجلب إيران إلى طاولة المفاوضات.

الهجوم والدفاع

عندما يتعلق الأمر بالطائرات بدون طيار، فإن العلاقة بين الهجوم والدفاع حاليًا تفضل المهاجم. ويرجع ذلك إلى التكلفة المنخفضة للغاية للطائرات بدون طيار، وسهولة تصنيعها، والقدرة على إطلاقها من بيئات شديدة القسوة وبسيطة للغاية لوجستيًا.

يمكن استخدام الطائرات بدون طيار كأصول للمراقبة والاستطلاع، أو كأصول لضربات ثنائية الاتجاه، أو كوسائل هجوم انتحارية في اتجاه واحد، حيث تستخدمها إيران في جميع الأوضاع الثلاثة. تحافظ الطائرات بدون طيار الإيرانية بشكل روتيني على وجودها في مناطق مثل مضيق هرمز ومداخله. وفي بعض الأحيان، يقومون بالمناورة بشكل استفزازي حول السفن الحربية التابعة للتحالف في هذه المياه؛ كما قامت إيران بضرب سفن بطائرات بدون طيار.

في العراق وسوريا، تحلق الطائرات بدون طيار التي تشغلها الجماعات الوكيلة لإيران - والحرس الثوري الإيراني في بعض الأحيان - بشكل روتيني فوق قواعد التحالف، وقد تم استخدامها مراراً وتكراراً لضرب هذه المواقع، بدرجات متفاوتة من النجاح. في اليمن، يعد فن استخدام أنظمة الطائرات بدون طيار الرخيصة التي يمكن التخلص منها لفرض تكاليف على

خصم لديه تقنية عالية درسًا عمليًا في قيمة تكنولوجيا الميدالية البرونزية. حيث فرضت هجمات الحوثيين بطائرات بدون طيار على المملكة العربية السعودية من اليمن تكاليف باهظة.

تحطيم أسطورة التفوق الجوي الأمريكي التي لا تشوبها شائبة

الأنشـطة المذكورة أعلاه تشـكل نقطة انعطاف في تاريخ الحرب الجوية. فاليوم، لم يعد بإمكان الولايات المتحدة الاعتماد على التمتع بالتفوق الجوي من خلال القوات والقواعد الأمريكية، ولا يمكنها، من الناحية العملية، منع تحليق الطائرات بدون طيار المجهولة وحتى المعادية بشـكل كامل. ولا تقل أهمية نقطة الانعطاف هذه في العديد من النواحي عن أهمية اسـتخدام الطيران المأهول في أوائل القرن العشـرين. وحقيقة أن هذه القدرات متاحة اليوم بجزء بسـيط من تكلفة الأجيال السـابقة من الطائرات بدون طيار وكذلك الطائرات المأهولة تسـهم في عامل جاذبيتها، وتضـعها في متناول جميع الدول، والعديد من المجموعات غير الحكومية، مما يجعل شـكل من أشـكال الحرب التي كانت متاحة للنخبة سـابقاً متاحة للجميع. ونتيجة لذلك فإن طبيعة الحرب الجوية ذاتها تتغير.

في الواقع، سيكون للطيران العسكري عنصر غير مأهول مهم في المستقبل المنظور، بل وربما يصبح عنصرًا مهيمنًا في الحرب الجوية. وفي الشرق الأوسط، أعطت هذه الديناميكية المتقلبة قوة أضعف مثل إيران الفرصة للانخراط بشكل غير متكافئ وبتأثير جيد ضد الدول والتحالفات التي يمكنها - من الناحية النظرية - إنتاج قوة قتالية أكبر بكثير. وفي حالة إيران، فمن خلال الضرب بقوة بالطائرات بدون طيار (وكذلك الصواريخ) في المراحل الأولى من الصراع، فإن ذلك قد يعيق نشـر الولايات المتحدة لقوتها القتالية في المنطقة، في حين يؤدي في الوقت نفسـه إلى إضـعاف الدعم الإقليمي لصـراع طويل الأمد. وبهذه الطريقة، فإن اسـتغلال إيران لأعداد كبيرة من الطائرات بدون طيار، إلى جانب الصـواريخ الباليسـتية وصـواريخ كروز، يمكن أن يكون بمثابة تطور يغير قواعد اللعبة في أي صراع مستقبلي.

الردود على التهديد المتزايد

منذ أكثر من خمسة عشر عامًا، تراقب دول المنطقة وقادة القيادة المركزية الأمريكية المتعاقبون نمو التهديد الذي تشـكله الطائرات الإيرانية بدون طيار. لقد انقسـمت الاسـتجابة المنطقية إلى قسمين: قسم تقني وآخر تنظيمي. وقد شهد القسم التقني بشكل أساسي إدخال أنظمة الدفاع الجوي إلى مسـرح العمليات، من خلال النشـر التناوبي لبطاريات باتريوت الأمريكية وبطاريات ثاد (منظومة دفاع في المناطق ذات الارتفاعات العالية)، فضـلاً عن شـراء أنظمة الدفاع الجوي والصـاروخي من قبل دول الخليج وإسـرائيل. بما في ذلك مجموعة متنوعة من أنظمة الأسـلحة والصـواريخ قصـيرة المدى من مصـادر غربية وروسـية وصـينية. وقد أدى هذا إلى مزيج من

القدرات، التي قوضت في بعض الأحيان مبدأً أساسياً للدفاع الجوي: التبادل السريع والمفتوح للمعلومات.

وبالتالي، تعد المنطقة موطنًا لأصول دفاع جوي كبيرة. لسنوات عديدة، كان لدى الولايات المتحدة بطاريات باتريوت وثاد متمركزة في المنطقة. وتحتوي كل بطارية عادة على ما يصل إلى ثمانية قاذفات، كل منها محملة بأربعة صواريخ. ويمكن إعادة تحميل البطاريات بسرعة. وهناك العديد من أنواع الصواريخ، بعضها مُحسّن للاستخدام على الطائرات، والبعض الآخر للصواريخ الباليستية. ويعد العدد الإجمالي لصواريخ باتريوت الأمريكية داخل المنطقة سر دفين. وتمتلك دول الخليج أيضًا أساطيل قوية وعالية القدرة من الطائرات المقاتلة، والتي يمكن استخدام الكثير منها ضد الطائرات بدون طيار وصواريخ كروز الهجومية الأرضية.

لذا، لا بد من الإشارة إلى حقيقة أساسية هنا: المشكلة لم تكن تكمن في المعدات، لكنها كانت تكمن في عدم القدرة على التنظيم بفعالية كمجموعة من الدول ضد التهديد. كل دولة في المنطقة تدرك التهديد الذي تشكله قدرات إيران.

ولم تكن جميع هذه الدول مستعدة، حتى وقت قريب، لوضع شكوكها تجاه بعضها البعض جانبًا وتوجيه دفاعاتها الجوية نحو إيران - وتبادل المعلومات الخاصة بالدفاع الجوي. ويجري الآن اتخاذ خطوات مبدئية تجاه تحقيق هذا الهدف. ويتضمن ذلك استخدام مركز العمليات الجوية المشتركة، الموجود في قاعدة العُديد الجوية في قطر، باعتباره حلقة الاتصال المركزية - المحور الذي يضم سلسلة من الوصلات تنبثق إلى دول المنطقة.

نحو هندسة إقليمية للدفاع الجوي والصاروخي

أدى التقاء الأحداث المتجذرة في التعقيد المتزايد وحجم التهديد الذي تمثله إيران إلى التحدي الذي نواجهه اليوم. فقد أصبحت قدرات إيران الصاروخية وتلك المتعلقة بالأنظمة غير المأهولة تشكل حالياً تهديدًا وجوديًا لدول الخليج وتهديدًا مباشرًا لإسرائيل. ولم يكن هذا هو الحال دائما. فالسلوك الإيراني الاستفزازي، بدءاً من ربيع عام 2019 - والذي شهد هجمات على ناقلات نفط خليجية، وتكثيف الهجمات على خطوط الأنابيب السعودية بطائرات بدون طيار من قوات الحوثي المتحالفة مع إيران في اليمن، وأخيراً الهجوم على منشآت شركة أرامكو السعودية من قواعد داخل إيران في سبتمبر 2019 - كشف عن نهج عدواني لاستخدام هذه الأسلحة الجديدة. صدم الهجوم على أرامكو صناع القرار السعوديين، وعندما لم يرتق الرد الأمريكي لتوقعاتهم، بدأت القيادة في الرياض في البحث عن بدائل. وقد تفاقم هذا الأمر بسبب الرسائل الأمريكية المُربكة التي أثارت تساؤلات حول التزامها طويل الأمد تجاه المنطقة. وضاعت الفرص، عبر الإدارات الرئاسية في أمريكا، لتجنب سردية التخلي(عن حلفائها) التي لاقت قبولاً بين حلفاء الولايات المتحدة وشركائها في المنطقة.

كان توقيع "الاتفاقيات الإبراهيمية" في سبتمبر 2020 بمثابة وعد بتعزيز العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية بشكل كبير بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة والبحرين (ومن ثم السودان - وفي صفقة منفصلة ولكن موازية، المغرب). ولكن في المجال العسكري، أصبحت الفرص الجديدة الواسعة للتعاون واضحة. وقد اكتسبت هذه الفرص زخماً أكبر بعد قرار إدارة ترامب بنقل إسرائيل من نطاق مسؤولية القيادة الأمريكية الأوروبية إلى نطاق مسؤولية القيادة المركزية الأمريكية. وقد أدى ذلك إلى تفعيل الأبعاد الأمنية للاتفاقيات الإبراهيمية. حيث أصبحت هناك الآن عمليات رسمية مطروحة ومحتملة الحدوث، تحت رعاية القيادة المركزية الأمريكية، للسماح بمستوى لم يكن من الممكن تحقيقه سابقًا من الاتصال والتخطيط بين الدول في المنطقة. وقد منح هذا غطاءً سياسيًا حتى لتلك الدول العربية التي تفتقر إلى علاقات رسمية مع إسرائيل لاستكشاف الاتصالات على المستوى العسكري مع نظيراتها الإسرائيلية.

وكانت آلية التركيز تتمثل في التهديد الذي تمثله الصواريخ والطائرات بدون طيار الإيرانية. وقد تم تجديد الاستجابة وتنشيط الاهتمام بالدفاع الجوي والصاروخي المتكامل، مع الولايات المتحدة كشريك - ولكن ليس الشريك الوحيد. علاوة على ذلك، فإن الدفاع ضد التهديد الجوي والصاروخي، عندما يتم التعامل معه بشكل تعاوني، لا يتطلب التنازل عن السيادة. وربما يكون هذا هو أحد أهم التفاصيل التي يجب أخذها في الاعتبار عند النظر في الاستجابات الإقليمية. ويتعلق الدفاع الجوي والصاروخي بمسألة تبادل المعلومات، وبناء "صورة عملياتية مشتركة" وممارسة التكتيكات والتقنيات والإجراءات التي تعمل على تحسين احتمالات وفرص المشاركة الناجحة. ولا يجوز لأي دولة أن تنشر جنود أو قوات على أرض دولة أخرى. وينصب التركيز على المعلومات، ومن منظور سياسي عملي تكون دفاعية بشكل أساسي. كل هذه السمات تجعل هذا المفهوم جذابا.

منذ عام 2021، تجتمع دول المنطقة على المستوى العسكري لتقييم التهديد الإيراني والنظر في ردود الفعل. وبينما لم تحضر كل الدول هذه الاجتماعات، فإن معظمها حضرتها، وما ميز هذه التجمعات لم يكن مجرد حدوثها فحسب، بل أيضًا سلسلة مؤتمرات الموظفين على المستوى الأدنى التي سبقتها وتبعتها، مع مجموعات عمل تناقش كيف يمكن تبادل المعلومات بشكل أكثر كفاءة وكيف يمكن استخدام أفضل الممارسات ضد التهديد الإيراني.

ولنفس الأسباب، لا ينبغي المبالغة في تقدير التقدم المحرز حتى الآن. فلا تزال الشكوك الثنائية قائمة، ولا تزال الولايات المتحدة الشريك الذي لا غنى عنه والذي يعمل على تمكين التعاون المتعدد الأطراف. علاوة على ذلك، فإن معظم هذه المناقشات كانت تجري على المستوى العسكري؛ وما يجب أن يحدث بعد ذلك هو القبول السياسي حتى يتسنى للاتفاق المفاهيمي أن يؤدي إلى العمل الجماعي. علاوة على ذلك، فإن القرار السعودي في أكتوبر 2022 بخفض إنتاج النفط ضد رغبات الولايات المتحدة قد يؤثر على الإجراءات على المستوى السياسي. على

سبيل المثال، فإن مبادرة الرمال الحمراء (تدريبات عسكرية مشتركة) الواعدة التي قدمتها القيادة المركزية الأمريكية في المملكة العربية السعودية، والتي تهدف إلى العمل على دفاعات الطائرات بدون طيار في مسرح العمليات على الأرض، قد تصبح عرضة للخطر بسبب مثل هذه التوترات[8].

التهديدات والفرص: التطلع إلى المستقبل

وحتى في حالة التوصل إلى اتفاق جديد يشبه خطة العمل الشاملة المشتركة، وهو أمر غير مرجح على نحو متزايد، ستسعى إيران جاهدة إلى زيادة قدراتها العسكرية. وفي حالة ظهور خطة العمل الشاملة المشتركة الجديدة، يمكن أن تجد طهران نفسها لديها أموال أكثر بكثير لهذه البرامج والقدرات. وما يثير القلق بشكل خاص هو القرار الإيراني بتزويد روسيا بطائرات بدون طيار لمساعدتها في حربها ضد أوكرانيا. ولا شك أن هذا لن يؤدي إلى جلب المزيد من الأموال لإيران فحسب، بل ربما يؤدي إلى المزيد من التكنولوجيات المتقدمة. وتتعلم إيران - إلى جانب شركائها الروس - أيضًا كيفية تشغيل الطائرات بدون طيار في ساحة معركة معقدة.

وبينما لا تزال الميزة في أيدي المهاجم، فإن الفجوة تضيق. ففي أوكرانيا، يطبق المدافعون نفس المبادئ الدفاعية التي يتم استخدامها في الشرق الأوسط: التحديد المبكر للتهديد، والاستخدام العدواني للطائرات المأهولة عندما يكون ذلك ممكنًا، وتحقيق أقصى استفادة من صواريخ الدفاع الجوي المتوسطة والقصيرة المدى، والاستخدام المكثف لمدفعية الدفاع الجوي والأسلحة الصغيرة بالقرب من الأهداف. وتشير التقارير المفتوحة إلى أن القوات الأوكرانية تنفذ أيضًا ضربات عميقة بطائراتها بدون طيار، لكن من غير المعروف إلى أي مدى تعطل هذه الضربات لوجستيات الطائرات بدون طيار الروسية وعمليات الإطلاق. وفي حين أن التقارير غير واضحة، يبدو أن أوكرانيا تسقط أكثر من 50% من الطائرات بدون طيار القادمة، وهو ما يتوافق مع النتائج السعودية ضد الطائرات بدون طيار من اليمن.

وبالتالي، فإن جميع الأمور ليست قاتمة - والفرص المستقبلية كثيرة. وللمرة الأولى، هناك زخم حقيقي بين دول المنطقة لخلق استجابة متعددة الأطراف لتهديد الطائرات بدون طيار والصواريخ الإيرانية. ويعد هذا الرد أهم تطور عسكري في المنطقة منذ سنوات عديدة. وقد أصبحت الحلول الدفاعية التقنية متاحة بشكل متزايد، بدءًا من الطائرات بدون طيار التي تعمل بالطاقة الحركية ووصولا إلى تلك الإلكترونية، بما في ذلك استخدام الليزر والإشعاع عالي الطاقة. وإذا حاولت إيران توسيع استخدام نظام تحديد المواقع العالمي وحتى التحكم القائم على الأقمار الصناعية في المستقبل، فستكون الفرص متاحة لاستغلال هذه المسارات الجديدة. وحتى

[8] Jim Geraghty, "Biden Wants 'Consequences' for the Saudis? Here's One, Ready-Made," Washington Post, October 16, 2022, https://www.washingtonpost.com/opinions/2022/10/16/biden-saudi-arabia-consequences/

عندما تتعلم إيران من العمليات الروسية في أوكرانيا، فإن الدول الغربية سيكون لديها فرصة هائلة لتجربة تقنيات وتكتيكات مختلفة هناك.

الاستنتاجات والتوصيات السياسية

هذه لحظة حاسمة في تطوير الدفاعات المضادة للطائرات بدون طيار في المنطقة. ولدى الولايات المتحدة وشركائها فرصة لخلق رد متعدد الأطراف ومتعدد المجالات على العدوان الإيراني، والذي - عندما يُقترن بالتقدم التكنولوجي الوليد ولكن الواعد - قد يغير التوازن لصالحهم. ولن يؤدي هذا إلى تحسين قدرتهم على الدفاع ضد الهجمات التي تشنها إيران فحسب، بل سيسمح بقدر أكبر من المرونة للولايات المتحدة في مواجهة الصين وروسيا. ومع ذلك، فإن الفرصة ضعيفة، وسيتطلب النجاح قدرًا أكبر من البراعة والمرونة الأمريكية مقارنة بالسنوات القليلة الماضية لاغتنام الفرصة في هذا الجيل.

والهدف الذي تسعى الولايات المتحدة إلى تحقيقه هو الردع. ومن الممكن تحقيق ذلك إما من خلال حرمان قادة إيران من النجاح في هجماتهم أو من خلال التهديد بالعقاب: أي القدرة على جعل هدفهم ــ أياً كان ــ لا يستحق الألم والخسائر المحتملة التي قد تلحق بهم في المقابل. ومن الواضح أن الردع من خلال الحرمان هو أفضل سبيل. وعلى الرغم من التطورات الواعدة، تفتقر الولايات المتحدة إلى الموقف الإقليمي أو القدرة التقنية لتحقيق الردع عن طريق الحرمان. وقد تتحسن القدرة التقنية الأميركية في المستقبل، لكنها لم ترتق إلى المستوى المطلوب حالياً. ومن ناحية أخرى، لم يشك قادة إيران قط في قدرة الولايات المتحدة على فرض تكاليف ساحقة عليهم في نهاية المطاف، أي الردع عن طريق العقاب. ومع ذلك، فقد شككوا ــ ولسبب وجيه ــ في رغبة الولايات المتحدة في القيام بذلك. فقد غيرت الضربة التي استهدفت قائد فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني في يناير 2020 هذه الحسابات المعقدة إلى حد ما، ولكن لا يزال هناك افتقار أساسي لاحترام رغبة واستعداد أمريكا لمعاقبة الجمهورية الإسلامية على سوء سلوكها. ولتحقيق الردع الحقيقي، يتعين على الولايات المتحدة أن تتمتع بالمصداقية في كلا المجالين: الحرمان والعقاب.

يمكن للولايات المتحدة استغلال الفرص المتاحة ضد إيران، خاصة فيما يتعلق بالتحدي الجوي بدون طيار، بالطرق التالية:

• توضيح سياسة الولايات المتحدة في المنطقة حتى لا يرتبك أصدقاء أمريكا هناك بشأن أهدافها ونواياها طويلة المدى - مع زيادة درجة الغموض حتى يصبح واجباً على المعتدي المحتمل أن يقيم ويتنبأ بنوايا الولايات المتحدة. إن استمرار المهمات بعيدة المدى التي تشنها

طائرات B-52/B-1 في مسرح العمليات يمثل بوضوح عرضاً فعالاً من حيث التكلفة للقدرات الأمريكية.

• إرسال رسالة صريحة لإيران بشأن الخطوط الحمراء الأمريكية، والتأكد من أن النظام يعرف أن الهجمات التي يرعاها وكلاؤه سـيُنظر إليها على أنها هجمات من جانب إيران. وفي نهاية المطاف، يتعين على الولايات المتحدة أن تكون واضـحة للغاية مع أصـدقائها في المنطقة، مع الحفاظ على درجة من عدم اليقين في أذهان المعارضين المحتملين.

• من الناحية العملية، سـيعني هذا النهج أن نكون أقل حدة بشـأن التأكيد على الأهمية الثانوية للمنطقة مقارنة بمنطقة المحيط الهادئ الهندية وأوروبا، وبذل الجهود لإصـلاح الضـرر الحقيقي الناجم عن الرسائل الخرقاء والمتضـاربة بشأن ما إذا كانت الولايات المتحدة ستغادر المنطقة أم لا.

• وفي الوقت نفسـه، دعم الجهود العسـكرية المشـتركة التي تعمل على تطوير - ولأول مرة - ردود حقيقية متعددة الأطراف على العدوان الإيراني، وخاصـة في مجال الدفاع الجوي ضـد الطائرات بدون طيار والصـواريخ. وقد تم متابعة هذه القنوات العسـكرية المشـتركة بأعمق ما يمكن أن يكون. والمطلوب الآن هو العمل السياسـي الذي ينقل هذه الاتفاقيات إلى مستوى أعلى وأكثر شمولاً. ويشمل ذلك دعم الاندماج المستمر لإسرائيل في نطاق مسؤولية القيادة المركزية الأمريكية.

• توسـيع وتحسـين قدرة التحالف الأمريكي على العمل ضـد مشـروع الصـواريخ الباليسـتية بالكامل وصـواريخ كروز الهجومية الأرضـية والطائرات بدون طيار. وينبغي أن يشـمل ذلك الجهود الموجهة ضد سلسلة الإمداد التي تجلب المكونات إلى الميدان، كما ينبغي أيضاً أن يحسن قـدرة الولايـات المتحـدة على العثور على منـاطق تخزين وتجميع الطـائرات بـدون طيـار والصـواريخ وإصـلاحها والانتهاء من ذلك قبل نشـر الأسـلحة إلى مواقع إطلاقها. ويلعب الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي دوراً كبيراً هنا وقد يخلقان أهدافاً عسكرية جديدة يتم استهدافها بشكل عارض.

• الاسـتمرار في دعم التقدم التقني الذي يؤتي ثماره حالياً في مجال التصـدي للطائرات بدون طيار. وهذا خبر سـار إلى حد كبير. وقد أكدت وزارة الدفاع الأمريكية بشـكل صـحيح على الطبيعة الحرجة لهذه المهمة.